

طريق نظرت، فتزحزحت عن مكاني إلى الوراء قليلا وبقي هو ثابت الحملقة لا يشعر بى ولا بحركتى، فحولت وجهى إلى حيث ينظر فلم أر شيئا — أعنى أنى لم أر ما يستوجب هذا التحديق كله — فتركته لشأنه حتى يثوب إلى ويمل طول النظر. وبعد هنيهة، قال — وكأنه يحدث نفسه: «لم أر فى حياتى إنسانا يأكل هكذا».. فدهشت وقلت: «إيه؟ كيف؟»

فأهمل سؤالى — أو لعله لم يسمعه — وسألنى هو: «هل تقضم اللقمة وتبلعها بلا مضغ؟»

فزادت دهشتى، وقلت: «كلا بالطبع.. من قال لك أنى أصنع ذلك؟» قال: «خفت أن تكون ممن يفعلون ذلك.. ليس أضر على المعدة منه...». فسكت، فقد استطرдна إلى حديث لم يكن لى فى حساب، فعاد يقول: «كلا.. لا تفعل.. احذر..».

فقلت، وقد مللت: «ما الذى يُجرى ببالك هذا السؤال؟» قال: «إيه؟.. أى سؤال؟» قلت: «المضغ والبلع، ولا أدرى ماذا أيضا». قال: «ألا تمضغ طعامك؟» قلت: «بالطبع أمضغه.. لماذا تسأل؟»

قال: «خفت ألا تكون تمضغه.. لقد كان الطبيب يوصينى أن أمضغ اللقمة اثنتين وثلاثين مرة أو ثلاثا وثلاثين لا أدرى.. الزيادة احتياط ينفع ولا يضر.. هل تفعل ذلك؟» فقلت لنفسى: إن النسيان فى ذاته وبمجرده ثقيل وبلاء عظيم، ولكنه يكون أعظم وأثقل إذا ألح على المصاب به خاطر واحد يحوم حوله العقل ولا يقع ولا يستقر، فأردت أن أصرفه عن ذلك، فسألته هل له فى كأس ثانية من الويسكى، وحدثت نفسى وأنا أسأله إن رؤيته مخمورا لا يكاد يعى ما يقول أفضل وأشبه بما ينبغى، وأقل استدعاء للعجب والاستغراب من تخليطه وهو مفيق صاح. ولكنه رد على سؤالى بسؤال أذهلنى، فقد قال مستغربا: «وهل شربت ويسكى؟» ووجه العجب فى كلامه أنه لم يشعر بالتأثير المألوف للخمر، فكأنه لا يسكر لأنه ينسى أنه شرب شيئا. ويظهر أن نسيانه هذا يعفيه من تأثير الخمر وينجيه من إسكارها، وصار السؤال الذى يحيرنى هو: «إذا كانت الخمر لا تؤثر فى نفسه أو جسمه أو عقله، فلماذا يشربها؟»

وبدا لى أن خير ما أصنع هو أن أعود به إلى بيته، فاقترحت ذلك فوافق ونهضنا. وحملته فى السيارة إلى هناك.. ولم يكن ينسى أين يسكن، ولكن الموقع كان يغيب عنه أحيانا وتخونه ذاكرته فيقف حائرا لا يدري ماذا يصنع حتى يتذكر أو يلقي من يعرف البيت فيسأله ويدله عليه أو يمضى به إليه.